العرب
الأربعاء 2021/03/10
السنة 43 العدد 11995

النقمة والعزلة لم تردعا بشار الأسد عن تكريس بقائه

رئيس النظام السوري يتحول من شخصية «منبوذة» طيلة عقد من الزمن إلى جزء من حل الأزمة

من المبكر الحديث عن سيناريوهات بخصوص انتهاء الحرب والبدء بالعملية الديمقراطية في سوريا، لكن مجمل المعطيات تشير إلى حدوث تطورات كبيرة جعلت النظام يمضي في التمسك بالسلطة، كما لا توجد دلائل على أن الضغوط الخارجية ستمنع بشار الأسد من خوض الانتخابات الرئاسية المزمعة بعد أشهر. فبعد أن تحوّل إلى رئيس "منبوذ" طيلة عشر سنوات من الأزمة، استطاع بناء تحالفات خارجية قوية جعلت المجتمع الدولي يربط أي تسوية محتملة بالمفاوضات معه.

ديمقراطية على المقاس

دمشق - صمد الرئيس السوري بشار الأسد في وجه الثورة والعزلة والحرب والنقمة رغم الدمار والموت والتشرّد، الذي ضرب بلده ولا يزال. وبعد عقد من الزمن عن اندلاع تحركات شعبية ضده يستعد مجددا لخوض غمار انتخابات رئاسية بعد أشهر تبدو نتائجها محسومة لصالحه.

وقبل عقد من الزمن، انطلقت ثورات شعبية في عدد من الدول العربية ضد التسلط والقمع والفقر. وأطاح الغضب برؤساء وأنظمة دكتاتورية حكمت بلدانها بقبضة من حديد لعقود، وإن لم تأت دائما بالحرية والرخاء المنشودين.

كريم بقرادوني

بشار الأسد عرف كيف يستثمر عامل الوقت لصالحه

توما بييريه

ولاء المؤسسة العسكرية ساهم في بقاء الأسد حتى الآن

ووحده الأسد، الذي تنبأ كثيرون بأنه سيسقط تحت ضغط الشارع بعد أسابيع من بدء الانتفاضة الشعبية ضده منتصف مارس 2011، احتفظ بمنصبه. وسيكون الأسد المرشّح الوحيد عمليا في الانتخابات القادمة بموجب دستور 2012.

اللعب على عامل الوقت

يقول خبراء وسياسيون إن بشار الأسد استفاد من تقاطع عوامل داخلية أبرزها تحكّمه بالقوات الأمنية والعسكرية، وخارجية على رأسها تلكؤ الغرب في استخدام القوة ضده، مقابل دعم عسكري حاسم من إيران ثم روسيا، ليبقى. وينضاف إلى ذلك الصبر واستثمار لعامل الوقت مشهود لهما في عائلة الأسد، التي تحكم سوريا منذ بداية سبعينات القرن الماضي.

وعند انطلاق الاحتجاجات السلمية، اختار الأسد قمعها بالقوة وسرعان ما تحوّلت نزاعا مدمرا فاقمه تصاعد نفوذ التنظيمات الجهادية وتدخل أطراف خارجية عدّة ساهمت في تعقيد المشهد. وصنّف كلّ من حمل السلاح ضدّه بـ"الإرهابي".

ويرى محللون أن الأسد، الذي خلف والده الراحل حافظ الأسد عام 2000، ورث عنه الطباع الباردة والشخصية الغامضة، وتتلمذ على يده في الصبر، ولعب ذلك دورا أساسيا في "صموده".

ويقول السياسي اللبناني المخضرم كريم بقرادوني لوكالة الصحافة الفرنسية "بعدما طالب العالم كله برحيله قبل سنوات وظنّ أنه سيسقط، يريد اليوم أن يجد الحلّ معه. لقد عرف الأسد كيف يستثمر عامل الوقت".

فمنذ اندلاع النزاع، لم يتوان الأسد في أي تصريح عن إبداء ثقته الكبيرة بالقدرة على الانتصار حتى في أكثر لحظاته ضعفا.

ويؤكد بقرادوني، الذي لعب لوقت طويل دور الوسيط بين النظام وأطراف لبنانية خلال الأزمات التي شهدها البلدان، "لم يتراجع الأسد أي خطوة للوراء. تمسّك بكل مواقفه من دون أي تعديل. وتمكّن من أن يسترجع بالقوة العسكرية معظم الأراضي السورية".

وأثبت الجيش السوري، وفق بقرادوني، "أنه جيش عقائدي ونظامي تمكن من الاستمرار وحماية النظام في أسوأ الأوضاع ولم ينقلب عليه كما في دول أخرى، وهذا ما جعل الأسد نموذجا استثنائيا في ما يُعرف بثورات الربيع العربي".

وبقي الجيش، الذي يشكل أبرز أسلحة الأنظمة الدكتاتورية، متماسكا وموالياً لنظام الأسد، رغم انشقاق عشرات الآلاف من العسكريين عنه في بداية النزاع، ما منح رئيس النظام السوري فرصة ذهبية للصمود، بخلاف رؤساء عرب آخرين استقال بعضهم أو فرّ أو قتل تحت ضغط الشارع.

ويرى الباحث في معهد البحوث والدراسات حول العالم العربي والإسلامي توما بييريه، أنّه يمكن اختصار العوامل الداخلية التي ساهمت في بقاء الأسد في السلطة بعنوان واحد "استمرار ولاء قيادة الجيش التي تعززت خلال عقود بأقارب الأسد وأتباعه" من الطائفة العلوية التي ينتمي إليها.

واعتبر أن هؤلاء شكلوا على الأرجح أكثر من 80 في المئة من الضباط في العام 2011، وشغلوا كل منصب مؤثر عمليا داخل الجيش.

ويقول باحث سوري في دمشق تحفّظ عن كشف اسمه، "لا يمكن إنكار دور شخصية الأسد في بقائه، وما يعرف عنه من إصرار وصرامة. فهو تمكّن من حصر القرارات كافة بيده وجعل الجيش معه بشكل كامل".

في أثناء ذلك، لم تفرز بنية النظام شخصيات قيادية يمكنها أن تلعب دورا بارزا في مواجهته، لا بل "قطعت الطريق على أي شخصية حاولت أن تبني حيّزا لها" في مستقبل البلاد.

فشل أميركي

راهن الأسد على تركيبة المجتمع المعقدة مع وجود انقسام عرقي بين عرب وأكراد، وطائفي بين سنّة وعلويين وأقليات، أبرزها المسيحية، رأت فيه حاميا لها خصوصا مع تصاعد دور التنظيمات الإسلامية والجهادية.

ويعتبر الباحث السوري أن الأسد "استفاد من خوف الناس من الفوضى ومن خوف بيئته (العلوية) على وجودها في حال سقوطه، ما جعلها تستميت في الدفاع عنه دفاعا عن وجودها. كما استفاد من غياب قوى سياسية فاعلة وفقدان الأمل من دور المعارضة".

وفي فبراير 2012، وبينما كانت قوات الأسد تخسر على الأرض، تشكلت مجموعة "أصدقاء سوريا" التي ضمّت دولا غربية وعربية داعمة للمعارضة السورية. ثمّ اعترفت أكثر من مئة دولة بالائتلاف الوطني لقوى الثورة والمعارضة السورية، كممثل شرعي وحيد للشعب السوري.

وبدا الأسد في تلك الفترة رئيسا معزولا مع تصاعد المطالبات بتنحيه، في وقت جمّدت جامعة الدول العربية عضوية سوريا فيها، وفرضت دول غربية عقوبات على النظام بسبب ممارسات القمع. بدا الأسد حينها على وشك السقوط. إلا أن خصومه لم يتمكنوا من تشكيل جبهة موحدة، لا في الداخل ولا في الخارج.

مع عسكرة النزاع، تعدّدت الفصائل المقاتلة التي كانت تتلقى دعما من جهات ودول مختلفة لها أجندات خاصة. ومع ظهور تنظيم الدولة الإسلامية وتحكمه بمساحات واسعة من البلاد، تبدّد مطلب الحرية والديمقراطية وراء الرعب. وبشكل غير مباشر، ساعد الأسد على تقديم نفسه بأنه يخوض حربا ضد "الإرهاب".

وفيما كانت الفصائل المعارضة تطالب حلفاءها بسلاح ودعم عسكري، على غرار تدخل حلف شمال الأطلسي (ناتو) الجوي الذي ساعد المعارضة المسلحة الليبية على النيل من نظام القذافي، كان الغرب مرعوبا من تكرار تجربة ليبيا، حيث بدأت الفوضى تتمدد.

ومع استقطاب داعش الآلاف من المقاتلين الأجانب إلى سوريا والعراق المجاور بدءا من العام 2014، وتنفيذه هجمات دامية في دول عدة، انصبّ تركيز المجتمع الدولي بقيادة واشنطن على دعم الفصائل الكردية وحلفائها في مواجهة الجهاديين، عوضا عن دعم خصوم الأسد.

وبات الأسد أكثر تيقنا من أن الطائرات الأميركية لن تحلّق في سماء دمشق بعد تراجع الرئيس الأميركي الأسبق باراك أوباما عن تنفيذ ضربات عقابية، إثر مقتل نحو 1400 شخص قرب دمشق في صيف 2013 جراء هجوم بغاز السارين اتهمت دمشق بتنفيذه. وانتهى الأمر باتفاق أميركي روسي على تفكيك الترسانة الكيميائية السورية.

ويوضح بييريه أنّ أوباما "انتخب على أساس وعد بالانسحاب من العراق، ولذلك تردّدت إدارته في العودة إلى الشرق الأوسط" من بوابة سوريا.

وأشار إلى أن الإدارة الأميركية حدّدت مصالحها في المنطقة على نطاق ضيق وبطريقة انعزالية، أي مكافحة الإرهاب، ومن هنا تدخلها ضد داعش وأسلحة الدمار الشامل.

مستقبل أكراد سوريا مُعلق بالحسابات المتغيرة

الرقة (سوريا) - غيّرت عشر سنوات من الحرب واقع الأكراد في سوريا، الذين تحولوا من أقلية عانت التهميش إلى قوة عسكرية تصدّت للجهاديين وبنت إدارة ذاتية في شمال وشمال شرق البلاد، إلا أن مستقبلهم لا يزال على المحك في ظل استمرار النزاع وتغير موازين القوى على الأرض.

وعلى مر عقود قبل عام اندلاع الثورة السورية في 2011، عانى الأكراد من سياسة تهميش اتبعتها الحكومات المتلاحقة، لكن نفوذهم تصاعد بعد انسحاب قوات النظام من مناطق تواجدهم بدءا من 2012 مع اتساع رقعة النزاع، وتمكنوا من بناء مؤسسات وتأسيس الإدارة الذاتية الكردية.

وفيما تمكّنت قوات النظام منذ 2015، بدعم من حلفائها، من استعادة غالبية المناطق السورية، تبقى مناطق الإدارة الذاتية في شمال وشمال شرق سوريا خارج سلطتها.

ويقول أحد مهندسي الإدارة الذاتية آلدار خليل لوكالة الصحافة الفرنسية "قبل 2011، لم يكن هناك أي شيء يمنحنا الأمل أو حافز يثبت لنا أننا مقبولون كمواطنين سوريين. كان الأكراد في حالة اضطهاد كامل، وكان هناك إنكار للغتهم وثقافتهم، حتى الهويات لم تكن لدينا، وبعد 2012 بتنا نشعر بأن البلد بلدنا".

ورغم كل تلك التداخلات المعقدة، التي تطغى على المشهد السوري بما فيها مستقبل أكراد سوريا، يؤكد الخبير في الشأن الكردي مولتو جيفير أوغلو أن الأكراد يفضلون نظام بشار الأسد على تركيا والفصائل الموالية لها.

وأُعلنت الإدارة الذاتية بداية في مناطق ذات غالبية كردية قرب الحدود مع تركيا، لكنها توسّعت تدريجيا لتشمل مناطق ذات غالبية عربية مع سيطرة قوات سوريا الديمقراطية، وعمادها المقاتلون الأكراد، بدعم أميركي، على مساحات شاسعة كانت تحت حكم تنظيم الدولة الإسلامية.

وكانت وحدات حماية الشعب الكردية من أوائل من واجه التنظيم وخاضت ضده في 2014 معركة الدفاع عن مدينة كوباني (عين العرب) الحدودية، وتلقت دعما عسكريا أميركيا. وأثار ذلك تدريجيا موجة انتقادات لواشنطن من جانب أنقرة التي تصنّف الوحدات كمنظمة إرهابية، وتعدها امتدادا لحزب العمال الكردستاني الذي يخوض تمردا ضدها.

وفي العام 2015، تأسست قوات سوريا الديمقراطية، التي تضم وحدات كردية وعربية، وباتت بمثابة جيش الإدارة الذاتية وأبرز خصوم الجهاديين. وتسيطر هذه القوات اليوم على أكبر حقول النفط السورية وأبرزها في دير الزور شرق البلاد.

ويعتبر دعم الولايات المتحدة لقوات سوريا الديمقراطية أشبه بصمام أمان كونها تشكل هدفا دائما لأنقرة، وإن كانت دمشق حتى الآن لم تعلن حربا مفتوحة عليها، لكنها ترفض بالتأكيد الاعتراف بالإدارة الذاتية.

موتلو جيفير أوغلو

الأكراد يفضلون نظام الأسد على تركيا والفصائل الموالية لها

غرق المعارضة في السلبية دفع بها إلى مآل التهميش

بيروت - لم تتمكن المعارضة السورية على اختلاف مكوّناتها خلال عشر سنوات من عمر النزاع من توحيد صفوفها وتقديم بديل جدي عن نظام بشار الأسد، وعلى وقع خسائر ميدانية متتالية، باتت غارقة في السلبية وصوتها خافت وقياداتها مشتّتة وتتحرّك وفق أجندات داعميها ما شكّل خيبة أمل حقيقية للناشطين و"الثوّار".

مازن درويش

المعارضة السياسية السورية إحدى خيبات مسار الثورة

وفشلت مجموعات المعارضة السياسية المقيمة بغالبيتها في المنفى في بناء جسور مع الداخل، وغالبا ما اتّهمت بعدم تمثيلها لصوت الناس والفصائل المقاتلة، التي تمكنت في سنوات الحرب الأولى من السيطرة على نحو ثلثي مساحة سوريا، ما يدفعها نحو مآل التهميش مستقبلا.

ويؤكد الناشط الحقوقي البارز مازن درويش، الذي اعتقل لنحو أربعة أعوام في سجون النظام وخُطف عدد من فريق عمله قرب دمشق، أن "المعارضة هي إحدى الخيبات".

ويشير إلى أن بعض المعارضين يعملون كسفراء لدول أخرى ويمثلون مصالحها في سوريا وتعاملوا مع النظام كما لو أنه سيسقط خلال أشهر وكان الهم الأساسي من سيحظى بمنصب "بينما كنا نحلم بتغيير النظام والحريات وحقوق الإنسان".

وبالنظر، إلى المسار، الذي سلكته المعارضة يتضح أنه منذ أن عقدت أولى اجتماعاتها مطلع يونيو 2011 في مدينة أنطاليا التركية، بعد أسابيع من بدء التظاهرات الاحتجاجية، لم يكن مجديا خاصة وأنها تضم جماعة الإخوان المحظورة في سوريا.

وازدادت التعقيدات مع مجموعة "إعلان دمشق" التي ضمت هيئات وشخصيات معارضة في الداخل والخارج، وشخصيات كردية وشبان يشرفون على تنظيم التظاهرات.

وبعد اجتماع أكتوبر 2011 في تركيا تم تأسيس المجلس الوطني السوري. وتحالف بعد عام مع مجموعات أخرى أبرزها لجان التنسيق المحلية التي دأبت على الدعوة وتنسيق التظاهرات أسبوعياً والمجلس الوطني الكردي تحت مسمّى "الائتلاف الوطني لقوى الثورة والمعارضة السورية"، الذي يترأسه نصر الحريري.

وبات يُنظر إلى الائتلاف الذي أعلن عنه من الدوحة على أنّه الأكثر تمثيلاً للمعارضة، وفيما منيت قوات النظام بخسائر متلاحقة في الميدان، حظي الائتلاف باعتراف رسمي من أكثر من مئة دولة غربية وعربية في مؤتمر "أصدقاء سوريا" نهاية العام 2012 بوصفه "ممثلاً وحيداً للشعب السوري".

في هذه الأثناء، بدأت سلميّة التظاهرات تتحطم بعد قمع عنيف تطوّر إلى نزاع مسلح دخلت على خطه تدريجياً دول عدة، خليجية كقطر والسعودية أرسلت مالاً وسلاحاً للمعارضين، وغربية وعربية صدحت ببيانات مطالبة برحيل الرئيس بشار الأسد. ومع عسكرة النزاع، تعدّدت الفصائل المقاتلة التي تلقت دعماً من جهات ودول لها أجندات خاصة، ولم تحظ بدعم عسكري كاف لدحر قوات النظام كما توقّعت، لخشية الغرب من تكرار سيناريو الفوضى الليبي.

وأسهم تصاعد نفوذ التنظيمات المتشددة لاسيما تنظيم داعش منذ 2014 بإضعاف المعارضة سياسياً وعسكرياً. ومع استقطابه الآلاف من المقاتلين الأجانب وتنفيذه هجمات دامية في الخارج، انصبّ تركيز المجتمع الدولي بقيادة الولايات المتحدة على دعم الفصائل الكردية، التي بقيت خارج تكتل المعارضة، وحلفائها لمواجهة الجهاديين عوضاً عن دعم خصوم الأسد.

وشارك الائتلاف في مطلع 2014 مع وفد من النظام في جولتي مفاوضات بإشراف الأمم المتحدة سعيا لإيجاد حل للأزمة، من دون إحراز تقدم. وبرعاية سعودية، تشكلت نهاية 2015 الهيئة العليا للمفاوضات، التي ضمّت أطيافاً واسعة من المعارضة أبرزها الائتلاف وفصائل مقاتلة، تمهيداً لبدء مفاوضات جديدة مع النظام في جنيف.

وظهرت لاحقاً منصات أخرى تتحدث باسم المعارضة، مثل منصة القاهرة التي ضمت معارضين من الداخل والخارج، ومنصة موسكو برئاسة نائب رئيس الوزراء الأسبق قدري جميل.

وفي داخل سوريا، نشطت مجموعات معارضة، بعضها مقبول إجمالاً من النظام، ضمت أحزاباً قومية ويسارية وكردية وشخصيات وطنية، لم يسلم بعض أعضائها من الاعتقال، وأخرى محسوبة على دمشق. وقد دعيت جميعها إلى جنيف.